نظرات على صحيح البخاري
وميزات أبوابه وتراجمه

سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي

ترتيب وتعليق

بلال عبد الحي الحسني الندوي

قام بالنشر والتوزيع :
مجمع الإمام أحمد بن عرفان الشهيد لإحياء المعارف الإسلامية
دار عرفات ، دارة الشيخ علم الله - راي بريلي - الهند

١٤١٣هـ

١٩٩٢م

اهتم بالطبع

عتيق الرحمن الطيبي

يطلب الكتاب من :

١- المكتبة الندوية - ندوة العلماء ص. ب ٩٣ - لكناؤ

٢- و مكتبة حـــــراء - مكارم نگـــر- لكنـــاؤ

٢- و مكتبة إسلام - محمد علي لين-گوئن روڈ-لكناؤ

AZAD PRINTING PRESS. NAZIRABAD. LUCKNOW. Phone : 234685

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي الكتاب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

وبعد ! فيسرني ويسعدني أن أقدم أمام طلبة الحديث الشريف هذه الرسالة النافعة وهي تشتمل على مقالتين لسماحة سيدي العلامة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي ، وقد كتبهما كتقديمين من على كتابي العلامة محمد زكريا الكاندهلوي ، الأولى على : « لامع الدراري » ، و الثانية على : « الأبواب والتراجم للبخاري » وهما قد طبعتا مع أصل الكتابين ، ولكن كانت الحاجة ماسة إلى طبعهما كرسالة مفردة ليعم النفع ويسهل التناول .

أحمد الله تعالى على طبعه بايعاز من مؤلفه - حفظه الله - كما أحمده على سعادة عظيمة قدرها لي ، وقد علقت عليها بعض التعليقات . فأدعو الله عزوجل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وينفع بها طلبة علوم الدين . وله الحمد أولاً وآخراً ، وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وصحبه أجمعين .

بلال عبد الحي الحسني الندوي

١٣ من ربيع الثاني ١٤١٣هـ

مجمع الإمام أحمد بن عرفان الشهيد لإحياء المعارف الإسلامية

دار عرفات ، دارة الشيخ علم الله - راي بريلي - الهند

بسم الله الرحمن الرحيم

نظرات في الجامع الصحيح

للإمام البخاري - رحمه الله -

الحمد لله رب العالمين ، و الصلاة و السلام على أشرف المرسلين ، و خاتم النبيين ، محمد و آله و صحبه أجمعين ، و من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ! فإنه يسعد كاتب هذه السطور أن يقدم لمقدمة « لامع الدراري على جامع البخاري » لبقية السلف وحجة الخلف الشيخ العلامة محمد زكريا بن يحيى الكاندهلوي السهارنفوري (١) . بعد ما أكرمه الله بتقديم لمقدمة «أوجز المسالك (٢) إلى شرح مؤطأ الإمام مالك (٣) »

---

(١) توفي في غرة شوال ١٤٠٢هـ . وقد ترجم له سماحة العلامة الشيخ الندوي في كتابه القيم « شخصيات وكتب » .

(٢) وهو من أبدع مصنفاته ومن أحسن شروح « المؤطأ » . حتى قال بعض المحدثين المالكيين : إنه لم يصنف قبله مثل ذلك في شرح « المؤطأ » .

(٣) هو سيدنا الإمام أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحي الحميدي (٩٢-١٧٩هـ) إمام دار الهجرة،وأحد الأئمة الأربعة ذوي المذاهب المتبوعة ، مولده ووفاته بالمدينة ، حدث عن نافع والزهري وابن دينار وغيرهم . +++

وكلتا المقدمتين العظيمتين كانتا في غنى عن تقديم وتعريف ، ولكن مؤلفها العظيم أراد أن يكرم كاتب هذه السطور بهذا التقديم ، ويشركه في هذه الكرامة ، وأراد أن يضم إليها سعادة جديدة ، فكانت له الحسنى وزيادة .

وإن كاتب هذه السطور يقف حائراً مبهوراً أمام هذه الكرامة التي هي فوق همته ، وأكثر من قدره وقيمته ، فكأنه كسي ثوباً سابغاً فضفاضاً قد فصل على من هو أطول منه قامة ؛ وأكثر من جسامة ، وقد كان في علماء هذا الشأن والمشتغلين بصناعة علم الحديث من كان أجدر بهذه الكرامة وأقدر على هذا التقديم من كاتب هذه السطور ، ولكنه فضل من المؤلف وشرف للكاتب .

لقد أصبحت هذه المقدمة كتاباً مستقلاً مفيداً يستحق أن ينشر بمفرده ، فقد أصبحت مقدمة ضافية في علوم الحديث وأنواع المؤلفات فيها ومراتبها وطبقاتها وخصائصها ودائرة معارف فيما يتصل بالإمام البخاري (١) ، وسيرته وأخباره ودقائق حياته وجلائلها ؛ وخفيات

+++ يصدق عليه قول النبي ﷺ « تضرب للإبل أكبادها إلى عالم المدينة لا ترى أعلم منه » صنفت في عصره مؤطآت كثيرة حتى قيل لمالك -رحمه الله- ما الفائدة في تصنيفك ؟ قال : « ما كان لله بقى » كما في التدريب للسيوطي وهكذا كان أقبل عليه الناس إقبالاً كلياً حتى قال خليفة عصره أريد أن أعلقه بأستار الكعبة وأجعله دستوراً فمنعه الإمام ، (تذكرة الحفاظ : ١/٢٠٧) (تهذيب التهذيب : ١٠/٥) (شذرات الذهب : ١/٢٨٩) .

(١) هو الإمام عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة الجعفي البخاري ، حبر الأمة و أمير المؤمنين في الحديث (١٩٤-٢٥٦) ولد في بخارى ونشأ يتيماً ، قام برحلة طويلة في طلب الحديث فـــزار ==+

أموره وظواهرها ، وما خصه الله به من مواهب وخصائص ، ومنهجه في التأليف ، وما التزمه من التزامات وشروط في وضع هذا الكتاب ، وبما تلقته هذه الأمة من اعتناء وقبول : وإقبال وتقديم ، وتوثيق وتصحيح ، وثقة واعتماد ، وتناقل وتوارث ، وشرح وإبراز لكل ناحية من نواحي هذا الكتاب ، تخطر على قلب بشر أو ينتقل إليها الذهن الإنساني ، وهي غاية ما يصل إليه الذكاء ويبلغ إليه الخيال في التحقيق والتدقيق ، والتجزية والتحليل ؛ والشرح والتفصيل ، وغاية ما عرف من الاعتناء بكتاب لمؤلف من مؤلفي العالم ، ولإنسان في تاريخ التأليف و التصنيف و في تاريخ العلم و الحضارة ، عبر القرون والأجيال ، وعبر الحدود والثغور ، فلو زعم زاعم أو ادعى مدع أنه لم يعتن بكتاب بشري في أي ملة وديانة ، وفي أي لغة وأدب ، وفي أي موضوع ومقصد ، وفي أي عصر من العصور ، مثل ما اعتنى بالجامع الصحيح للإمام البخاري (١) ، لما كان مجازفة من القول ولا مبالغة في

=+ خراسان والعراق ومصر والشام ، وسمع من نحو ألف شيخ ، منهم الإمام أحمد بن حنبل ، كان من أوعية العلم، يتوقد ذكاءاً لم يخلف بعده مثله في سيلان ذهنه و سرعة حفظه ، له مصنفات شهيرة أشهرها في الآفاق صحيحه ، هو يقول : صنفت كتاب الصحيح بست عشرة سنة خرجته من ست مائة ألف حديث وجعلته حجة ، توفي ليلة الفطر في شوال ، (تذكرة الحفاظ: ج/٢ ، ص/١٢٠) (تهذيب التهذيب ج/٩ ، ص/٤٧) (وفيات : ج/١ ، ص/٤٥٥) .

(١) أقبل عليه الناس درساً وتدريساً ، شرحاً وتعليقاً ، استدراكاً وتخريجاً، استنباطاً واستخراجاً ، جزئياً وكلياً ، لا يوجد له مثيل في هذا الأمر أي كتاب بشرى في أي أمة من الأمم ، وهذه حقيقة اعترف بها الأعداء والأصدقاء .

الدعوى ، ولا إسرافاً في الحكم ، ولكان لهذا القول وجاهة علمية ودلائل تاريخية ، قائمة على استعراض طويل دقيق ، محايد أمين للمكتبة العلمية العالمية ، ونتاج العقول والأقلام ، ومحصول القرائح والهمم ، من فجر التاريخ إلى يوم الناس هذا .

ولنظرة عجلى فيما تضمنت هذه المقدمة من معلومات وتفاصيل عن مدى اعتناء الأمة الإسلامية بهذا الكتاب الذي اعتبرته أصح كتاب الله ، وأوثق مصدر للحديث النبوي ، وكيف تناولته بالبحث والتنقيب ، وكيف عصرت عقولها وصبت آخر قطرة من قطراتها ، واستفرغت جهدها واستنفدت قوتها وطاقاتها ، وأفنت أعمارها وأوقاتها في الكشف عن خباياه وحل غوامضه واستقصاء شروط المؤلف فيه ، ومعرفة رجاله ورواته واستعراض ما قيل عنه وما اعترض عليه وذب به عنه والمحاكمة في كل ذلك ، ومقارنته بمجاميع السنة الأخرى ، وتفضيله على قرينه « الجامع الصحيح » للإمام مسلم بن الحجاج القشيري (١) ، وفيما وقع بينهما من اختلاف في بعض الأصول والشروط ، ثم كيف خدم الكتاب من نواح مختلفة ، لا يقع على أكثر

---

(١) هو الإمام الحافظ الحجة سيد المحدثين أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري صاحب الصحيح (٢٠٤-٢٦١هـ) سمع عن أحمد بن حنبل وطبقته وروى عنه الترمذي وابن خزيمة وابن أبي حاتم وخلق سواهم ، له مصنفات أشهرها في العالم صحيحه وهو من أحسن المصنفات في الحديث جودة وترتيباً ورجحة المغاربة على البخاري ، قال محمد بن الماسرجسي ، سمعت مسلماً يقول : « صنفت هذا الصحيح من ثلاث مائة ألف حديث مسموعة » ويقول : « ما وضعت شيئاً في كتابي هذا إلا بحجة وما اسقطت شيئاً منها إلا بحجة . (تذكرة الحفاظ : ٢/٥٩٠) (شذرات الذهب : ٧/٢٢١) .

منها الذهن البشري عادة ولا يتجاوزها غالباً ، تكفي لتصديق ما قلناه وتفصيل ما أجملناه من العناية الفائقة الخارقة للعادة بهذا الكتاب .

ويكفي القارئ أن يطلع على جهود العلماء وكبار الأذكياء في التطبيق بين تراجم الأبواب والأحاديث ، وقد ذكر مؤلف هذه المقدمة سبعين أصلا لفهم أسرار المؤلف وأغراضه في وضع هذه التراجم والوصول إلى مراده وغايته والتطبيق بينهما ، وقد استقصى هذه الأصول من الكتب المؤلفة في هذا الموضوع قديماً وحديثاً ، ومن شروح البخاري ، وضم إليها أصولاً جديدة ، ألهمه الله إياها بطول ممارسته لهذا الفن ومباشرته لتدريس هذا الكتاب ، وبفرط ذكائه وصدق طلبه ومثابرته على التأمل والمطالعة ، وإجالة الفكر وإعمال القريحة ، ففتح الله عليه بالشئ الكثير والعلم الغزير ، وبما لم يسبق إليه ، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ كلاً نمد هؤلآء وهؤلآء من عطاء ربك • وما كان عطاء ربك محظوراً ﴾ .

ويكفيه كذلك أن يجيل نظره في وجود المناسبة والارتباط اللطيف الدقيق بين أول كل كتاب وخاتمته من الكتب التي يشتمل عليها هذا الكتاب العظيم « الجامع الصحيح » للبخاري ولطائف ذوقية في التزامات المؤلف مثل التذكير بالموت والآخرة في آخر كل كتاب ، فقد نقل المؤلف في هذه المقدمة كل ما وصل إليه اجتهاد أكبر شارح للجامع الصحيح ، وهو العلامة الحافظ ابن حجر العسقلاني - رحمه الله (١) - في كتابه العظيم الخالد « فتح الباري » و ما أضاف إليه

---

(١) هو الإمام الحافظ أحمد بن علي ، أبو الفضل ، شهاب الدين ابن حجر الكناني العسقلاني (٧٧٢-٨٥٢هـ) من كبار أئمة الحديث والتاريخ ، أصله ++

مؤلف هذه المقدمة من نكت بديعة وإشارات لطيفة في ربط آخر الكتاب بأوله ، حتى يصبح الكتاب وحدة متناسقة متكاملة ، وعقداً منظماً ، كل لؤلؤ تلتئم مع أختها وتنسجم مع شقيقتها ؛ وتخدم غاية واحدة ، هي غاية الجمال والكمال ، وغاص فيها المؤلف إلى أعماق بعيدة ، لا يصل إليها كل مشتغل بهذا العلم الشريف ، ولا يلزم أن يوافقه في ذلك كل باحث ، ويتذوقه كل قارئ ، فقد يغلب ذكاؤه المفرط وهيامه بهذا الكتاب ومعانيه ، وإيمانه الزائد بدقة فهم مؤلفه وبعد غوره ومراميه ، فيأتي بما لا يسهل فهمه وإساغته ، ولكن لا ينقص من قيمته ولا ينكر جهد المؤلف وحرصه على استخراج الدرر واقتناص النجوم ، وإعجابه الشديد بعبقرية الإمام البخاري ولطف حسه ورقة شعوره وامتحانه للعقول .

ولا نعرف كتاباً من كتب البشر - في المكتبة الدينية العالمية - تناوله العلماء والمؤلفون بالشرح والتحشية والتعليق مثل ما تناولوا

++ من عسقلان (بفلسطين) ومولده ووفاته بالقاهرة ، أولع بالأدب والشعر، ثم أقبل على الحديث ورحل إلى اليمن والحجاز والقاهرة وغيرها للسماع عن الشيوخ ، أخذ عن العراقي ، وابن اللفن وغيرهما ، وعلت له شهرة ، قصده الناس للأخذ عنه ، وأصبح حافظ الإسلام في عصره ، يقول السخاوي : انتشرت مصنفاته في حياته وتهادتها الملوك وكتبها الأكابر ، كان فصيح اللسان ، صبيح الوجه ، ولي قضاء مصر مرات ، ثم اعتزل ، له مصنفات كثيرة جليلة أشهرها ، « فتح الباري في شرح صحيح البخاري » ، و« لسان الميزان » ، و « تهذيب التهذيب » ، و «الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة » وغيرها من المؤلفات النافعة ، ولتلميذه السخاوي كتاب في ترجمته سماه « الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر » (شذرات الذهب : ٧/٢٧٠) (الأعلام : ١/١٧٢) .

هذا الكتاب ، وقد كان الشرح والتعليق هو المجال العلمي الذي تظهر فيه عناية العلماء والمؤلفين في العصور القديمة ، ومقياس اهتمامهم بأثر علمي ، فكان أكثر الكتب شروحاً وتعليقات هو أعظم المؤلفات تقديراً ، وأعلاها منزلة وأكثرها شهرة ، وكان أقل الكتب شروحاً وتعليقاً ، أخملها ذكراً وأقعدها شهرة وصيتاً ، فيبقى مطموراً مغموراً ، لا يسترعي انتباهاً ، ولا يثير اهتماماً ، فإذا أخذ هذا المقياس - وهو المقياس الوحيد لنجاح كتاب في عهدنا العلمي الماضي ، والدليل القاطع على احتلاله للصدارة في المجلس العلمي - حكمنا بأن « الجامع الصحيح » للبخاري قد فاز بالقدح المعلى في هذا الميدان ، واحتل الصدارة فـي مكتبتنا الإسلامية التي انبثقت عن القرآن و دعوة الإسلام ، وامتدت على مشارق الأرض ومغاربها ، في المساحة الأرضية المكانية ، وعلى القرن الأول إلى القرن الثالث عشر - على الأقل - في مساحتها التاريخية الزمانية ، فقد بلغ عدد شروحه و التعليقات عليه إلى مائة و واحد وثلاثين كتاباً (١٢١) على حسب استقراء مؤلف هذه المقدمة (١) وعلمه واطلاعه ، وقد يكون العدد أكثر من هذا ، فقد كان استقصاء المؤلف مؤسساً على كشف الظنون للجلبي (٢) ، « ومفتاح

(١) مقدمة « لامع الدراري » للعلامة محمد زكريا الكاندهلوي .

(٢) هو مصطفى بن عبد الله الكاتب الجلبي المعروف بالحاج خليفة (١٠١٧-١٠٦٧هـ) مؤرخ بحاثة ، تركي الأصل ، مستعرب ، مولده ووفاته في القسطنطينية ، تولى أعمالاً كتابية في الجيش العثماني ، وذهب مع أبيه وكان من رجال الجند إلى بغداد فمات أبوه « بالموصل » فرحل إلى ديار بكر ثم عاد إلى « الآستانة » ، رحل إلى الشام ، ثم حج وزار خزائن الكتب الكبرى ، وعاد إلى « الآستانة » ، وشهد حرب كريت (١٠٥٥هـ) وانقطع في السنوات الأخيرة إلى التدريس ، له مصنفات أشهرها : « كشف الظنون عن أسامي /

السعادة » لطاش كبرى زاده (١) ، و « اتحاف النبلاء » ، و « الديباج المذهب » ، و « نيل الابتهاج » ، و مقدمات الشروح المشهورة التي كانت في متناول يده ، و « الثقافة الإسلامية في الهند » ، وبعض دراساته وتتبعاته الفردية . ولا شك أن العالم الإسلامي أوسع مما تخليه الجغرافيون ، والتاريخ الإسلامي العلمي أغنى مما دونه المؤرخون ، وفي الزوايا خبايا لم تقع عليها عين ولم تطلع عليها الشمس .

وإن كتاب « فتح الباري » للعلامة ابن حجر العسقلاني (٢) الذي يقع في ثلاثة عشر مجلداً ضخماً ومقدمة مبسوطة تكاد تكون مكتبة مستقلة في علوم الحديث ، كتاب لا يوجد له نظير في مكتبات الديانات والملل ، وإن لهذه الأمة الإسلامية أن تفتخر بهذا الأثر العلمي الخالد ، وتقدمه إلى علماء الديانات والفلسفات ورواد الحضارات والثقافات ، كبرهان ساطع على جهاد هذه الأمة العلمي ونبوغها الفكري ورُقُوعها

\/ الكتب والفنون » وقد صرف عشرين سنة من عمره لجمع هذا الكتاب ، (دائرة المعارف الإسلامية في (أردو) طبع بنجاب ، ج/٧ ، ص/٧٧١) (الأعلام : ج/٨ ، ص/١٢٨) .

(١) هو العلامة أحمد بن مصطفى المعروف بطاش كبرى زاده (٩٠١-٩٦٨هـ) قرأ على علاء الدين اليتيم وأخذ عن عمه قوام الدين قاسم بن الجليل ، قرأ قدراً من « صحيح البخاري » علي محمد التونسي ، وحصلت له الإجازة ، درس بعدة مدارس ، ثم صار قاضياً ببروسا ثم انتقل إلى إحدى المدارس الثمان ودرس ثم صار قاضياً ، ألف عدة مؤلفات نافعة منها ، « مفتاح السعادة » عدة مجلدات ، و « الشقائق النعمانية » وغير ذلك (حاشية «الفوائد البهية » : ص/٢٢) (معجم المطبوعات العربية : ٧/١٢٢١) .

(٢) مضت ترجمته .

بآثار نبيها والغوص فيها إلى أعماق ليست بعدها أعماق ، والوصول فيها إلى آفاق ليست وراءها آفاق . هذا ، مع عدم الحط من قيمة الشروح الأخرى - وفي مقدمتها « عمدة القارئ » للعلامة بدرالدين العيني (١) التي هي مكتبة حافلة في النحو والعربية وعلوم البلاغة والأحكام المستخرجة والفوائد المستنبطة من الأحاديث - ومع الاعتراف باخلاص مؤلفيها ونصحهم لله ولرسوله وللمؤمنين ، وإفراغ وسعهم في خدمة الحديث ونشره ، والتعمق فيه إلى غاية لا يتصور فوقها ، جزاهم الله عن الإسلام والمسلمين أفضل الجزاء .

ثم يلي هذا المقياس ، شدة العكوف على دراسة الكتاب والتهافت على روايته ونقله والتنافس في حمله ونشره وضمه إلى الصدور والعض عليه بالنواجذ ، وتوارث الأجيال في تلقيه جيلاً بعد جيل ، وكابراً عن كابر ، وتلميذاً عن أستاذ ، وطبقة عن طبقة ، حتى لا تعرف فترة

(١) هو الإمام العلامة المحدث الفقيه المؤرخ بدر الدين محمود بن شهاب الدين أحمد العنيتابي المصري الحنفي المشهور بالعيني (٧٦٢-٨٥٥هـ) تفقه على والده ، ثم رحل إلى حلب وأخذ عن يوسف بن موسى الملطي الحنفي ، ثم قدم القدس الشريف فأخذ عن العلاء السيرامي وصحبه حتى سافر معه إلى القاهرة ولازمه حتى مات فأقام بمصر مكباً على الاشتغال والاشغال ، وولي حسبة القـــاهرة ثم ولي عدة تداريس ووظائف دينية ، واشتهر اسمه وبعد صيته ، أفتى ودرس وصنف إلى أن ولي قضاء قضاة الحنفية بالديار المصرية ، كان فصيحاً باللغتين العربية والتركية وكان أحد أوعية العلم ، أخذ عنه ما لا يحصى له مصنفات جليلة أشهرها ، « عمدة القاري شرح صحيح البخاري » في عشرين مجلداً . (شذرات الذهب : ٧/٢٨٦) (الجواهر المضيئة : ٢/١٦٥) (الفوائد البهية : ص/٨٧) (الضوء اللامع : ١٠/١٢١) .

من الزمان ، نسج فيها عليه العنكبوت وساد عليه الظلام ، وانقطعت روايته وتوقفت دراسته وعبث به العابثون وتصرف فيه الخائنون المحرفون ، وقد تفرد الجامع الصحيح بهذه الميزة بعد كتاب الله ، فقد أخذ هذا الكتاب عن مؤلفه تسعون ألفاً من الرواة والحفاظ ، وتسلسل نقله وروايته ، حتى انتهى هذا الكتاب إلى مؤلفه ، وبلغ حد التواتر في شهرته وصحة نقله ونسبته إلى المؤلف ، لا ينكر ذلك ولا يتشكك فيه إلا من تشكك في المتواترات والحقائق العلمية التي تثبت بالضرورة ، ولا يزال هذا الكتاب موضع الاهتمام والعناية وموضوع التأمل والدراسة في الحلقات العلمية في العالم الإسلامي .

وقد كان نصيب الهند - للأسباب التي بسطنا بعضها في مقدمتنا لمقدمة « أوجز المسالك » - أوفر في التمسك بهذا الكتاب والعكوف عليه درساً وتدريساً من كل بلد إسلامي في العصر الأخير ، فإنه لا يزال في قمة الكتب الحديثية التي تدرس في المدارس الدينية ، يقرأ من أوله إلى آخره في آخر سنى الدراسة ، وقد أصبح شعاراً لنبوغ الأستاذ ورسوخه في علوم الحديث والأثر ، واقتداره على صناعة التدريس والتفهيم ، يتجلى فيه امتياز معلم عن معلم وتفوق أستاذ على أستاذ ، وأصبح شرطاً لكمال الطالب واجتهاده وفوزه ونجاحه ، فلا يعتبر عالماً إلا إذا قرأ هذا الكتاب بدقة وإمعان وجهد وإتقان ، ولا تزال ختمات البخاري لتفريج الكرب وإزالة ما نزل بالمسلمين عادة منتشرة وتقليداً متبعاً في أنحاء العالم الإسلامي .

وهذا كله دليل اعتناء الأمة بهذا الكتاب ، وما حازه من قبول عند الله وعند الناس .

ثم خص هذا الكتاب بالاطباق على أنه قد بلغ أقصى درجات الصحة والوثاقة والتحرى في نقل الصحيح الثابت والاحتياط الذي يبلغ إليه اجتهاد المجتهدين وأمانة النقلة والرواة ، وأن المؤلف قد أفرغ فيه جهده ونجح فيه نجاحاً لم يكتب لمحدث آخر ، وراعى فيه أدق الشروط التي عرفت في هذا الفن : والتزم فيه التزامات لم تعرف عن أي مؤلف في هذا الموضوع ، ثم ساعدته في ذلك الملكة الراسخة التي لا يرزقها إلا واضعوا الفنون والصيارفة الحذاق وأهل السليقة الذين لا يعرفهم التاريخ إلا في فترات طويلة وعلى مر القرون والأعصار ، وهم في كل لغة وأدب ، وكل موضوع ومقصد ؛ ويجعلهم الله ميزاناً في هذه الفنون وحجة في هذه المقاصد ، فيرزقهم من ثقوب النظر وصحة الحدس وسرعة الخاطر ودقة الشعور وسلامة الفكر والذوق السليم الذي لا يخطئ ما لا يرزقهم أقرانهم ونظراءهم - على جلالة قدرهم وغزارة علمهم - فيأتون في هذه الفنون والمقاصد من الحكم الصحيح السريع والوصول إلى الحقيقة والاهتداء إلى الصميم بما يشبه الالهام ، وبما يخيل إلى كثير من الناس بأنه فوق الطاقة البشرية ، وما هو بالهام دائماً وما هو فوق الطاقة البشرية ، لكنه الملكة الراسخة والموهبة الربانية والتوفيق الإلهي وطول الممارسة وشدة الاخلاص .

ونظائر ذلك كثيرة في الأدب والشعر ، واللغة والنحو ، وعلم العروض والطب ، وأولئك الأئمة لا يخضعون للقواعد التي وضعها من كان في طبقاتهم أو دونهم ، ودونتها كتب هذا الفن وجاء فيها الغث والثمين واختلط فيها الحابل بالنابل ، فقد يتحررون عن هذه القواعد وعن هذه الآراء والمقاييس ؛ ويحكمون بسليقتهم وبصيرتهم وذوقهم

وتجربتهم .

ومن الظلم والجهل بالحقيقة ، والتسرع في الحكم ، والتقليد الأعمى ، أن يخضعوا لهذه القواعد المرسومة المحدودة التي جاءت في كتب من تأخر زمانه عن زمانهم وانحط مكانه عن مكانهم فيؤخذ « تهذيب الكمال (١) » للمزى (٢) مثلاً أو مختصراته للحافظ

---

(١) وهذا الكتاب في الأصل تهذيب واستدراك على « الكمال » للحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي الحنبلي (م ٦٠٠هـ) يقول المزي : « إن الحافظ عبد الغني لم يصرف عنايته إليه ولا استقصى الأسماء ، ولا تتبع التراجم ثم إن ولده رام تهذيبه فزاد فيه أسماء جماعة كثيرة استقصاءاً من الأطراف لابن عساكر لكنه ذكر مختصراً مع أوهام شنيعة فاردت تهذيبه واستدراك النقص فأضفت فيه ألف وسبع مائة اسم وجعلت لكل تأليف علامة » وأضاف فيه جماعة وهذبه جماعة منهم مغلطاني الحنفي والذهبي وغيرهما حتى جاء ابن حجر فصنف باسم « تهذيب تهذيب الكمال » في ستة مجلدات قال فيه : « إن كتاب الكمال الذي ألفه الحافظ عبد الغني وهذبه الحافظ المزي من أجل المصنفات في معرفة جملة الآثار ، ولا سيما التهذيب بيد أنه أطال فقصرت الهمم عن تحصيله لطوله فاقتصره بعض الناس » هذا كما في « كشف الظنون » وللحافظ ابن حجر مختصر تهذيب التهذيب أيضاً سماه « تقريب التهذيب » .

(٢) هو الإمام المحدث العلامة يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف أبو الحجاج جمال الدين ابن الزكي أبو محمد القضاعي الكلبي المزي الشافعي (٦٥٤-٧٤٢هـ) محدث الديار الشامية في عصره ، ولد بحلب ونشأ بالمزة (من ضواحي دمشق) مهر في اللغة ثم في الحديث ومعرفة رجاله ، و ولي دار الحديث الأشرفية ثلاثاً و عشرين سنة ، له التصانيف النافعة أشهرها : « تهذيب الكمال في أسماء الرجال » اثنا عشر مجلداً ، يقول الذهبي عنه : « إليه المنتهى في معرفة الرجال وطبقاتهم فما رأيت مثله » (تذكرة الحفاظ : ١٤٩٨/٤) (شذرات الذهب : ١٢٦/٦) (الدرر الكامنة : ٤٥٧/٤) .

ابن حجر (١) ، أو « ميزان الاعتدال » للذهبي (٢) - على فضل هذه الكتب وفضل مؤلفيها على المشتغلين بهذا العلم - فيحكم على الجامع الصحيح للبخاري (٣) أو الجامع الصحيح لمسلم (٤) أو الموطأ للإمام مالك (٥) ؛ فيعاد الأمر جذعا ويستأنف النظر في هذه الكتب التي تلقتها الأمة بالقبول ، وبلغ أصحابها إلى أقصى درجات في التحقيق والدقة والتحرى ، وتشرح تشريح الأجسام ، وتسلط عليها المقاييس المحدودة التي تقبل النقاش ويتسع فيها مجال الكلام ، فهذا النوع من القسوة العلمية والجفاف الفكري والعمل التقليدي سيحدث فوضى تتزلزل بها أركان الدين ؛ وتتضعضع بها العقيدة واليقين ، ويتورط المسلمون في اضطراب قد أغناهم الله عنه وكفاهم شره .

ولذلك كان حذاق المحدثين وعلماء أسماء الرجال يعتمدون في ذلك على «البخاري» و «مسلم» أكثر مما كانوا يعتمدون على كتب أسماء الرجال التي دونت في العصور المتأخرة ؛ ويعجبني في ذلك ما نقله صاحب

---

(١) مضت ترجمته .

(٢) هو الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، حافظ ، مؤرخ ، علامة ، محقق ، تركماني الأصل ، مولده ووفاته في دمشق ، رحل إلى القاهرة وطاف كثيراً من البلدان ، أخذ عن ابن دقيق العيد والدمياطي وغيرهما ، كف بصره سنة ٧٤١هـ ، يقول السبكي : اشتمل عصرنا على أربعة من الحفاظ لا خامس لهم منهم الذهبي وقال عنه : «كنز هو الملجأ » له مصنفات كثيرة و غزيرة أشهرها : « تذكرة الحفاظ » و « ميزان الاعتدال » و « سير أعلام النبلاء » (شذرات الذهب : ١٥٣/٦) (ذيل تذكرة الحفاظ : ٢٤ و ٢٤٧) (الدرر الكامنة : ٢٢٦/٣) .

(٣-٤-٥) مضت تراجمهم .

المقدمة عن الشيخ أبي الحسن المقدسي كان يقول في الرجل الذي يخرج عنه في الصحيح « هذا جاز القنطرة » يعني بذلك أنه لا يلتفت إلى ما قيل فيه ؛ وقال الشيخ أبو الفتح القشيري : هكذا نعتقد وبه نقول ولا نخرج عنه إلا لحجة ظاهرة وبيان شاف يزيد في غلبة الظن على المعنى الذي قدمناه من اتفاق الناس بعد الشيخين على تسمية كتابيهما « بالصحيحين » ومن لوازم ذلك تعديل رواتهما » ويؤيده ما قال الحافظ ابن حجر (كما نقل عنه صاحب المقدمة) « وقبل الخوض فيه ينبغي لكل منصف أن يعلم أن تخريج صاحب الصحيح لأي راو كان مقتضياً لعدالته عنده وصحة ضبطه وعدم غفلته ، ولا سيما ما انضاف إلى ذلك من إطباق جمهور الأمة على تسمية الكتابين « بالصحيحين » وهذا معنى لم يحصل لغير من خرج عنه في الصحيح فهو بمثابة إطباق الجمهور على تعديل من ذكر فيهما » .

وكذلك ليس من الصواب ولا من الفقه ولا من مصلحة الإسلام والمسلمين أن تثار قضية أصحية هذين الكتابين الجليلين من جديد ، وتبحث ، كأن الأمر أنف والموضوع بكر لم يطرق من قبل ولم يقبل بحثاً وتفكيراً ، فهو يحدث كذلك فوضى فكرية ويضيع على الأمة كثيراً من جهودها وطاقاتها وأوقاتها ، وهو جهاد في غير جهاد أغنى الله خلف هذه الأمة عن القيام بأعبائه بما تولاه سلف هذه الأمة ، وفتح باب خطر على مصراعيه تدخل منه آفات كثيرة وتشويشات عظيمة ، وليس سر أصحية هذين الكتابين وفضلهما على سائر الكتب في علو طبقة رجالهما وعدالتهم وفي الشروط الدقيقة التي التزمها المؤلفان فحسب ، بل في اشتهار هذه الأحاديث التي حواها هذان المجموعان ، وشدة اعتناء علماء هذا الشأن بها ، وكثرة تلقي الأمة لها ، وقد أحسن

شيخ الإسلام الشيخ ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي (١) كل الإحسان إذ قال مبيناً لهذه النكتة في كتابه الفريد « حجة الله البالغة » : « أما الصحيحان فقد اتفق المحدثون على أن جميع ما فيهما من المتصل المرفوع الصحيح بالقطع ، وأنهما متواتران إلى مصنفيهما وأنه كل من يهون أمرهما فهو مبتدع ومتبع غير سبيل المؤمنين ، وإن شئت الحق الصراح فقسهما بكتاب ابن أبي شيبه وكتاب الطحاوي ومسند الخوارزمي وغيرهما تجد بينها وبينهما بعد المشرقين ، وقد استدرك الحاكم عليهما أحاديث هي على شرطهما ولم يذكراها ، وقد تتبعت ما استدركه فقد أصاب من وجه ولم يصب من وجه ، وذلك لأنه وجد أحاديث مروية عن رجال الشيخين بشرطهما في الصحة والاتصال فاتجه استدراكه عليهما من هذا الوجه ، ولكن الشيخين لا يذكران إلا حديثاً قد تناظر فيه مشايخهما وأجمعوا على القول به والتصحيح له كما أشار مسلم حيث قال : « لم أذكر ههنا إلا ما أجمعوا عليه » وجل

---

(١) هو الإمام حكيم الإسلام قطب الدين أحمد ولي الله بن عبد الرحيم العمري الدهلوي ، مسند الهند وأعلم أسرار الشريعة (١١١٤-١١٧٦هـ) قرأ سائر العلوم على والده ، وكان يختلف إلى المحدث الشيخ محمد أفضل السيالكوتي واستفاد منه في الحديث ، سافر إلى الحرمين الشريفين ، وأقام بهما عامين وصحب علماءها وأخذ الحديث عن الشيخ أبي طاهر الكردي ورجع إلى الهند ونشر الحديث فيها ، وقد ألهمه الله تعالى من العلوم والأسرار وجمع فيه من العلوم يندر نظيرهـا في تاريخ الأمم و الديانات ، يقول عنه شيخه الكردي : « يسند عني اللفظ وكنت أصحح منه المعنى » ومن أشهر مصنفاته ، « حجة الله البالغة » في علوم أسرار الشريعة (نزهة الخواطر : ج/٦ ، ص/٢٩٧) (رجال الفكر والدعوة : ٤) للعلامة أبي الحسن الندوي .

ما تفرد به المستدرك كالموكى عليه ، المخفى مكانه في زمن مشايخهما ، وإن اشتهر أمره من بعد (١) » .

وليس اتفاق الأمة وعلمائها على أصحية البخاري وفضله على سائر الكتب مجرد اتفاق ومصادفة ، ولا عن طواطؤ ومؤامرة ، وقد أعاذ الله هذه الأمة التي اختارها لحمل دينه وتبليغ رسالته من أن تكون فريسة غفلة وغباوة وأن تجتمع على الضلال ، بل كان ذلك إلهاماً من الله ومكافأة على ما قام به مؤلف هذا الكتاب من جهاد في سبيل حفظه الأحاديث النبوية ، ثم تحقيقها وتنقيحها ومعرفة رجالها ورواتها وكشف أستار الكذابين والوضاعين وتمييز الضعفاء والمجروحين ثم في نقلها ونشرها في الآفاق وجمعها في مجموعة مهذبة منقحة ، بحسب الطاقة البشرية والعلم الإنساني ، وقد هجر في سبيل ذلك راحته وحظوظ بدنه ومطالب نفسه ، ونسى لذته وغادر وطنه واكتفي من الدنيا ببلغة عيش وسداد رمق ، ولقى في سبيله أذى كثيراً وتحمل في سبيله نكراناً وجفاءاً ، ومحنة وبلاءاً ، فقد وهب للحديث حياته وما أكرمه الله به من قوى وطاقات وحافظة لاقطة واعية وذهن وقاد وعقل نقاد ونفس كبيرة وهمة عالية ؛ فكافأه الله على كل ذلك بأن قيض له أفواجاً من العلماء والأذكياء يخدمون كتابه بصنفوف من الخدمة وأنواع من الجهد لم تخطر ببال أي جماعة قبلهم ولم تتيسر لكتاب بعد كتاب الله ، وأشعل في قلوبهم حب هذا الكتاب والسهر على خدمته حتى لم يشعروا بلذة إلا في شرحه ونشره ولم يجدوا راحة إلا في تحقيقه وتنقيحه ، حتى كونوا هذه المكتبة الواسعة الزاخرة التي لم

---

(١) حجة الله البالغة : ص/١٢٤ .

توجد لكتاب ؛ وفي هذه المقدمة العظيمة أضواء على هذه المكتبة وتعريف بأهم كتبها ومحتوياتها ولم يكن ذلك كله إلا مظهراً من مظاهر سنة الله في خلقه وهي « أن الجزاء من جنس العمل » فهي سنة قديمة في الأمم والجماعات البشرية وأفراد الناس . فلما حفظ البخاري سنة رسول الله ﷺ وجاهد في سبيلها حق الجهاد ووقف كل حياته وكل ما كان يملكه ويمتاز به له . كفل الله بحفظ كتابه وانتشاره وبقائه وازدهاره واعتناء الأمة به اعتناءاً لا مزيد عليه . وفي هذه المقدمة قصة هذا الاعتناء وعرض لجوانبه الكثيرة ومناحيها المختلفة .

ومن سلسلة هذا الاعتناء التاريخي الطويل الذي حكى المؤلف قصته في تفصيل وجود هذا الكتاب العظيم الذي أسماه جامعه وناشره « لامع الدراري على جامع البخاري » وهو مجموع أمال وتحقيقات للإمام الرباني شيخ المحدثين في عصره الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي (١) في

---

(١) هو الشيخ المحدث رشيد أحمد بن هداية أحمد الأنصاري الحنفي الرامفوري ثم الكنكوهي (١٢٤٤-١٣٢٣هـ) ولد في « كنكوه » و نشأ بين خؤولته . قرأ المختصرات في بلده ثم سافر إلى دهلي وقرأ على الشيخ عبد الغني حتى فاق أقرانه في العلوم وتصدى للتدريس « بكنكوه » . سافر إلى الحجاز ثلاث مرات واستفاد من شيوخه الشيخ عبد الغني والشيخ إمداد الله .

كانت أوقاته موزعة مضبوطة يحافظ عليها . واقتصر في آخر عمره على درس الصحاح الستة فلما كف بصره ترك التدريس وتوسع في الإرشاد والتحقيق . كان آية باهرة في التقوى واتباع السنة والعمل بالعزيمة والحرص على نشر السنة . لا يعرف المحاباة والمداهنة في الدين مع التواضع واللين . وكانت له اليد الطولى في تزكية النفوس . وقد رزقه الله من التلاميذ ما يندر وجود أمثالهم .

>>>

أثناء تدريس الجامع الصحيح للإمام البخاري ، قيدها تلميذه النجيب الوفي الشيخ محمد يحيى بن محمد إسماعيل الكاندهلوي (١) ، وهو عصارة دراسات الشيخ ولباب تأملاته وعكوفه الطويل على علم الحديث دراسة وتدريساً ، وقد جاء دور الشيخ محمد زكريا بن محمد يحيى ، فنقحها وهذبها وتناولها بالشرح والإيضاح والكشف والابانة وضم إليها ما فتح الله به عليه من نكت بديعة وإشارات لطيفة وتحقيقات نادرة وتطبيقات فائقة ، لا يعرف قيمتها إلا من باشر تدريس هذا الفن سنين طوالا ، وعرضت له معضلات ومشكلات أثناء الدرس في مدة طويلة فلم يجد حلها في بطون الأسفار و الكتب المتداولة و الشروح المشهورة السائرة ، وقد جربت ذلك أثناء تدريسي للجامع الصحيح ، على قلة بضاعتي وقصر باعي وقلة اطلاعي في هذا العلم الذي لا يعرف في علوم الإسلام علم اتسع اتساعه ودق دقته .

وهذه المقدمة اجتمعت فيها فوائد وعلوم قد تفرقت وتناثرت في كتب هذا الموضوع ، فجمعها مؤلفها الذي أصبح له الحديث شعاراً ودثاراً وذوقاً وحالاً في هذه المقدمة ، ويجد فيها المعلم والتلميذ غاية ما

>>> له مصنفات مختصرة قليلة ، وقد جمع تلميذه النجيب الشيخ محمد يحيى الكاندهلوي ما أفاد في درسه لجامع الترمذي وطبع باسم « الكوكب الدري » (نزهة الخواطر : ج/٨ ، ص/١٤٨) .

(١) هو والد العلامة محمد زكريا الكاندهلوي ، كان من العلماء الراسخين كانت له ملكة في التربية والتعليم ، ولد في محرم الحرام ١٢٨٩هـ في بيت عريق في العلم والدين ، أخذ عن العلامة رشيد أحمد الكنكوهي و الشيخ خليل أحمد السهارنفوري وغيرهما من العلماء درس في « مظاهر العلوم » كتب الحديث إلى أن توفى في ذي القعدة سنة ١٣٣٤هـ .

أورد به على البخاري واستشكل من هذا الكتاب ، ثم جوابه الشافي ، وشرحاً وافياً لرموز البخاري ومصطلحاته ومقاصده وأسراره في التراجم ولطائفه في التأليف ، هذا عدا معلومات قيمة عن الأئمة الأربعة ومذاهبهم وبحوث مفيدة في أصول الحديث وأسماء الرجال ، فجاءت شاملة كاملة وموسوعة واسعة ، يجد فيها الطالب ما يفتق قريحته ويشحذ ذهنه ويرفع همته ويجد فيها المعلم الحاذق والأستاذ الكامل ما ينير سبيله ويسهل مهمته ويؤفر عليه وقته وجهوده ، فللمؤلف شكر المشتغلين بهذا الفن وثناؤهم واعترافهم بالجميل ، وله من الله الأجر الجزيل والذكر الباقي والدعاء الدائم ، والحمد لله أولاً وآخراً ، وصلى الله على نبيه محمد وآله وصحبه أجمعين .

••••••

الأبواب والتراجم للبخاري ،
ميزاتها وخصائصها

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين وخاتم النبيين محمد وآله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد !

فمما تقرر عند المشتغلين بصناعة الحديث تدريساً وتصنيفاً وشرحاً وتحقيقاً أن الأبواب والتراجم في الجامع الصحيح لأمير المؤمنين في الحديث محمد بن إسماعيل البخاري - رحمه الله (١) - من أدق البحوث والمطالب ومن أعمقها غوراً وأبعدها مدى ، حتى اشتهر بين العلماء أن فقه البخاري في تراجمه ، وأصبح ذلك شعاراً لهذا الكتاب يتميز به عن أقرانه الصحاح على جلالة قدرها وفخامة شأنها وأصبح مقياساً لفطنة العلماء وتوقد ذكائهم وسيلان ذهنهم وبعد غورهم واقتدارهم على فهم هذا الكتاب الجليل وحل غوامضه وفتح أغلاقه والتوصل إلى مقاصد المؤلف ، لا يشهد لمؤلف أو مدرس ببراعة في العلم وتفوق في التدريس ، وسعة اطلاع على الشروح والحواشي وأقوال الأئمة و الفحول من المحدثين و طول ممارسة لتدريس هـذا

---

(١) سلف ذكره .

الكتاب الشريف واضناء القوى وإفناء العمر في ذلك حتى يجتمع له الشئ الكثير من هذا الباب وينفرد بتوجيهات وتعليلات تنحل بها الألغاز وتتفتح بها الأقفال وتخلو عنها بطون الأسفار .

ولذلك عني بهذا الموضوع العلماء قديماً وحديثاً ، وأجالوا فيه قداحهم وأركضوا في هذا السباق جيادهم واعتصروا في ذلك عقولهم الراجحة وعلومهم الراسخة ، ولا نعرف أديباً أو لغوياً تعمق في فهم بيت من الأبيات ومعرفة معنى من المعاني الشعرية والوصول إلى غاية من غايات الشعراء مثل تعمق شراح الجامع الصحيح والمشتغلين بتدريسه في فهم مقاصد المؤلف وشرح كلامه .

ولا نعرف - على طول اشتغالنا بالتاريخ العلمي - مؤلفاً من مؤلفات العلماء أو الحكماء عني به رجال ذلك الفن وعكفوا على حل غوامضه وفك مشكلاته حتى شقوا فيه الشعرة ، مثل ما عني علماء الحديث بالجامع الصحيح . وما ذلك إلا لإخلاص مؤلفه لعلم الحديث الشريف وانقطاعه إليه وجهاده في سبيله وتفانيه في ذلك (١) .

---

(١) ومن أسبابه الظاهرة في ذلك كما يقول الإمام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بولي الله الدهلوي - رحمه الله - إن الإمام البخاري برز بعد المئتين والعلماء قد صنفوا في العلوم الدينية في الفنون المختلفة كالحديث والفقه والتفسير والسير والرجال والأصولين والزهد والرقائق وغيرها ، وهذه المصنفات كانت بين عينيه فجمع هذه العلوم ما صح منها على شرطه في كتابه الجامع ليكون حجة قاطعة للمسلمين وسماه « الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه » فصار هذا الكتاب مرجعاً ومنتهى للعلوم الدينية وتلقت الأمة عليه بالقبول الكامل .

كما بينا ذلك في تقديمنا (١) لمقدمة « لامع الدراري » وما ذلك إلا لشدة اعتناء الأمة الإسلامية بكل ما يتصل بالحديث النبوي ، ويتصل بالشخصية النبوية التي ضمن الله لها برفع الذكر وتخليد الأثر ، وارتفاع المنار ، ولسان صدق في العالمين ، حتى تخطت هذه البركة وسرت إلى ما اتصل بها عن قريب أو بعيد فأدركت كل من انخرط في سلك الرواة على مدى العصور والأجيال فرفعت عنه اللثام وازالت عنه لوثة النكارة أو وصمة الجهالة فدون في كتب أسماء الرجال اسمه واسم أبيه وذكر كثير من أخباره وبحث عن نسبه ونسبته ، ودراسته ونشأته ، وأمانته وعدالته ، حتى أصبح علماً يعرف ومعرفة لا تنكر (٢) وفاق في ذلك على كثير من المصلحين في أمم أخرى وكثير من العظماء والأبطال ومؤسسي الحكومات حتى قال أحد المستشرقين الكبار ، وهو العالم الألماني المعروف بـ « اسبرنجر» في مقدمته بالانجليزية على كتاب « الإصابة » المطبوع في كلكته سنة ١٨٥٢-١٨٦٤م « لم تكن فيما مضى أمة من الأمم السالفة كما أنه لا توجد الآن أمة من الأمم المعاصرة أتت في علم أسماء الرجال بمثل ما

(١) وقد قدم صاحب هذا المقال سماحة الشيخ العلامة الندوي - حفظه الله - على سائر المصنفات في فن الحديث للمحدث الجليل العلامة محمد زكريا الكاندهلوي - رحمه الله - على طلب منه كهذا التقديم على « الأبواب والتراجم للبخاري » وتقديماته على « أوجز المسالك » و « الكوكب الدري » و « جزء حجة الوداع وعمرات النبي ﷺ » وغير ذلك على مصنفات العلامة الكاندهلوي - رحمه الله - .

(٢) فإنه قد دعا النبي ﷺ لمن يحفظ كلامه ويعيه ويؤديه إلى غيره فقال ﷺ : « نضر الله امرأً سمع مقالتي فحفظها و وعاها وأداها كما سمع » .

جاء به المسلمون في هذا العلم العظيم الخطر الذي يتناول أحوال خمس مائة ألف رجل وشئونهم » (١) لم يقتصر هذا البر والرفد على الأولياء والمحبين من أمته والخادمين لدينه وعلمه بل تعدى ذلك إلى الأعداء الكاشحين ، والمناوئين لدينه فعرف به كثيراً من أعدائه الألداء ممن طوتهم الجاهلية وطمستهم الأيام فبقيت أسماؤهم وكثير من أخبارهم بفضل السيرة النبوية والحديث النبوي ، ولولا هما لذهبت أخبارهم أدراج الرياح وطارت أسماؤهم العنقاء ، فلا عجب إذا كان العصر الغابر والتاريخ الماضي يتمثلان ببيت الشاعر العربي ويخاطبان هذه السحابة التي مرت بهما فأفاضت عليهما الحياء والنماء وينشدان :

فأذهب كما ذهبت غوادي مزنة

أثنى عليها السهل و الأوعار

ونعود إلى الحديث فنقول : وكان مظهراً من مظاهر هذه العناية الفائقة بهذا الكتاب الفذ عناية العلماء بتراجم الأبواب في الجامع الصحيح فتناوله كل من شرح هذا الكتاب أو علق عليه أو عكف على تدريسه وأفرد بعضهم له تأليفات فات كثيراً من المؤلفين أسماؤها شأن العلوم الأخرى ، ومن المؤلفات التي حفظت أسماؤها ، وجاءت الإشارة إليهـــا ، ثلاثة مؤلفات في هذا الموضوع ، ذكرها الكاتب الجلبي (٢) المشهور باسم الحاج خليفة (م ١٠٦٧) في كتابه الشهير « كشف

---

(١) « الرسالة المحمدية » لأستاذنا العلامة السيد سليمان الندوي (تعريب : الأستاذ محمد ناظم الندوي) ص/٧١ ، دار الفتح ١٩٦٢م . (ع)

(٢) سلف ذكره .

الظنون عن أسامي الكتب والفنون » وهي :

١- كتاب للإمام ناصر الدين علي بن محمد بن المنير الاسكندراني (١) سماه « المتواري على تراجم البخاري » (٢) .

٢- « ترجمان التراجم » لأبي عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهري البستي (٣) قال الجلبي : وهو على أبواب الكتاب ولم يكمله .

٣- « حل أغراض البخاري المبهمة في الجمع بين الحديث والترجمة » وهي مائة ترجمة للفقيه أبي عبد الله محمد بن منصور بن حمامة المغراوي السجلماسي المتوفى سنة ٣٧٠هـ (٤) ، وأضاف إلى هذه الكتب الثلاثة مسند الهند وأستاذ الأساتذة فيها الشيخ عبد العزيز بن ولي الله الدهلوي (٥) كتاباً رابعاً في كتابه المفيد « بستان

---

(١) له شرح على صحيح البخاري في عشر مجلدات سماه « مصابيح الجامع » ، كما في « كشف الظنون » .

(٢) كشف الظنون : ص/٢٦٥ .

(٣) هو عالم المغرب الحافظ العلامة أبو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهري (٦٥٧-٧٢١هـ) احتفل في صباه بالأدبيات حتى برع ثم رحل إلى فاس ، طلب الحديث وجهد فيه وتفقه ، وأخذ الأصلين عن جماعة ، حج وجاور ، ودخل مصر والشام سمع من ابن دقيق العيد وطبقته ، توفي بفأس (شذرات الذهب : ج/٦ ، ص/٥٦) (البدر الطالع : ج/٢ ، ص/٢٢٤) .

(٤) لم نعثر على ترجمته .

(٥) هو الإمام العلامة الشيخ عبد العزيز بن ولي الله الدهلوي العمري ، سراج الهند ، (١١٥٩-١٢٢٩هـ) أخذ عن والده وبعد وفاته أخذ عن الشيخ نور الله والشيخ محمد عاشق والشيخ محمد أمين الكشميري وهم كانوا من أجلة أصحاب والده ، حتى برع في العلوم وحصلت له الملكة الراسخة ، كان أجد أفراد العالم بفضله و علمه و ذكائه و فهمه و سرعة حفظه ، اشتغل ٨٨٨

المحدثين » (١) وهو « تعليق المصابيح على أبواب الجامع الصحيح » لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن عمر القرشي المخزومي الاسكندراني الملقب ببدر الدين المعروف بالدماميني (٢) المتوفى سنة ٨٢٨هـ .

\\\ بالدرس والإفادة وله خمس عشرة سنة فدرس وأفاد حتى صار في الهند العلم المفرد . وتخرج عليه كثير من العلماء والمشايخ كالشيخ عبد القادر الدهلوي والإمام أحمد بن عرفان الشهيد والمفتي إلهي بخش الكاندهلوي وغيرهم . له مصنفات منها تفسير القرآن و قد ضاع معظمها في ثورة الهند . (نزهة الخواطر : ج/٧ . ص/٢٦٨) (رجال الفكر و الدعوة : الجزء الرابع) العلامة الندوي - حفظه الله - .

(١) وهو باللغة الفارسية عربه الأستاذ محمد أكرم الندوي وطبع في مجلة : « البعث الإسلامي » الصادرة من ندوة العلماء - بلكناؤ - الهند .

(٢) هو الإمام محمد بن أبي بكر بن عمر المخزومي القرشي المعروف ببدر الدين بن الدماميسي المالكي (٧٦٢-٨٢٨هـ) عالم بالشريعة وفنون الأدب . ولد في الاسكندرية واستوطن القاهرة . سمع من ابن الملقن والنويري وطبقتهما. درس في الأزهر ثم تحول إلى دمشق ثم حج وعاد إلى مصر فولي قضاء المالكية ثم ترك ورحل إلى اليمن فدرس بجامع زبيد ثم انتقل إلى الهند ومات في مدينة « كلبركه » . قال العلامة عبد الحي الحسني وله شرح على صحيح البخاري سماه : « مصابيح الجامع » أوله الحمد لله الذي في خدمة السنة النبوية أعظم سيادة » . ذكر فيه أنه ألفه للسلطان أحمد شاه المذكور وعلق على أبواب منه ومواضيع يحتوي على غريب وأعراب وبنية . وقد دخل ابن الدماميسي مدينة « أحمد آباد » سنة ٨٢٠هـ . ولابد أن يكون هذا الكتاب قد ألف بين سنتي ٨٢٠هـ و ٨٢٨هـ . (نزهة الخواطر : ج/٢ . ص/٩٥) (شذرات الذهب : ج/٧ . ص/١٨١) (الضوء اللامع : ج/٧ . ص/١٨٤) (البدر الطالع : ج/٢ . ص/١٥٠) (الأعلام : ج/٦ . ص/٥٧) .

هذا ما أثر عن المتقدمين والأئمة المحققين في البلاد الإسلامية العربية ، ومن المعروف أن علماء الهند قد سمت همتهم في خدمة علم الحديث وتفننوا فيها كل تفنن فكانت لهم في كل فن من فنونه وغرض من أغراضه جولة وقد انتهت إليهم رئاسة علم الحديث والصدارة في تدريسه ونشره في العصر الأخير (١) فلابد أن تكون لهم مؤلفات لم تصل إلينا أسماؤها و جزى الله عنا و عنهم مؤلف كتاب « الثقافة الإسلامية في الهند (٢) » إذ حفظ لنا الشيء الكثير من

---

(١) ومن أجل حاملي لوائه الإمام علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهانفوري صاحب كنز العمال (م ٩٧٥هـ) وتلميذه النابغ العلامة محمد بن طاهر بن علي الفتني صاحب « مجمع بحار الأنوار» . (م ٩٨٦هـ) والعلامة عبد الحق بن سيف الدين البخاري الدهلوي (م ١٠٥٠هـ) والشيخ أبو الحسن السندي الكبير صاحب الحواشي الستة على الصحاح الستة (م ١١٣٨هـ) والإمام أحمد ابن عبد الرحيم المعروف بولي الله الدهلوي مسند الهند (م ١١٧٦هـ) والعلامة عبد العزيز بن أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي (م ١٢٣٩هـ) والشيخ محمد إسحاق (م ١٢٦٢هـ) والشيخ عبد الغني بن أبي سعيد الدهلوي (م ١٢٩٦هـ) وغيرهم من المحدثين والمصنفين الكبار .

(٢) هو العلامة الشريف السيد عبد الحي الحسني مؤرخ الهند الكبير (١٢٨٦-١٣٤١هـ) ولد في « رائ بريلي » في بيت عريق في العلم والدين فأبوه السيد فخر الدين الحسني من المؤرخين الكبار ، قرأ على الشيخ محمد نعيم الفرنگي محلي وعلى غيره من علماء لكناؤ ، ثم سافر إلى بهوفال ، وأخذ الحديث عن العلامة المحدث حسين بن محسن الأنصاري اليماني ، وقرأ الكتب الدرسية على الشيخ القاضي عبد الحق الكاملي حتى فاق أقرانه وتضلع في العلوم .

كان متألماً بواقع المسلين حريصاً على إصلاحهم ، فلبى دعوة ندوة +++

مؤلفات علماء الهند في علم الحديث واستقصاها استقصاءاً كبيراً ولكنه لم يذكر مما ألف في موضوع الأبواب و التراجم إلا رسالة (١) لشيخ مشايخ الهند وأستاذ الأساتذة وناشر علم الحديث في هذه الديار الإمام ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي (٢) المتوفى سنة ١١٧٦هـ ، وهي رسالة وجيزة المباني غزيرة المعاني تكاد تكون كلها أصولاً كلية ونكتاً حكمية واللب اللباب في فهم التراجم والأبواب . شأنه في كل موضوع يطرقه وبحث يتناوله . ومن المرجح أن مؤلف الثقافة لم يطلع على رسالة العلامة الشيخ محمود حسن الديوبندي (٣) المعروف «بشيخ

+++ العلماء حتى اختير مديراً لها واستمر على ذلك حتى وافته المنية .

كان راسخ القدم في آداب اللغة العربية والفارسية . كاتباً مترسلاً . سائل القلم في العربية . ومن أهم مؤلفاته . « نزهة الخواطر » في ثماني مجلدات كبار . يحتوي على أربعة آلاف وخمس مائة ونيف ترجمة . « والثقافة الإسلامية في الهند » و « الهند في العهد الإسلامي » وغيرها . اعقب ابنين وبنتين . فضيلة الدكتور عبد العلي الحسني . مدير ندوة العلماء الأسبق والعلامة الشيخ أبا الحسن علي الحسني الندوي - حفظه الله - وهو داعية موهوب وعلم من أعلام الإسلام .

(١) طبعتها باسم رسالة « شرح تراجم صحيح البخاري » دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد سنة ١٢٢٢هـ . و هي تقع في ١٢٩ صفحة بالقطع المتوسط (ع) .

(٢) مضت ترجمته .

(٣) هو الشيخ العلامة المحدث محمود حسن بن ذو الفقار علي الحنفي الديوبندي (١٢٦٨-١٣٣٩هـ) ولد في « بريلي » ونشأ « بديوبند » وقرأ على أساتذة ولا سيما العلامة محمد قاسم النانوتوي . وانتفع به كثيراً حتى برع في العلوم . و ولي التدريس « بديوبند » ثم رأس التدريس بها . و نفع >>>

الهند » فإنما طبعت بعد وفاة مؤلف الثقافة (١) .

هذا جل ما انتهى إلينا من أخبار الكتب والرسائل في موضوع الأبواب والتراجم للبخاري في الماضي (٢) .

وسر الغموض في هذه الأبواب والتراجم تنوع (٣) مقاصد المؤلف

>>> الله به في هذه الفترة نفعاً عظيماً .

كان قد وضع خطة لتحرير الهند من حكم الانجليز ، وسافر له إلى الحجاز وقابل حكماء الترك ، وحاول له ولكن اكتشفت الحكومة الانجليزية هذه المؤامرة وألقى القبض عليه ، ومكث في السجن ثلاث سنين عاكفاً على العبادة والإفادة ثم وصل إلى الوطن مكرماً مبجلاً ، وقد مالت إليه القلوب وتقاطر الناس لاستقباله وزيارته ، وقد أضناه الأسر و وهنت قواه ولكنه ما دام مشتغلاً بعمله حتى وافاه الأجل .

كان دائم الابتهال ، سليم الصدر ، جيد الثقة ، والمشاركة في العلوم ، عالي الهمة بعيد النظر ، قليل الاشتغال بالتأليف بالنسبة إلى غزارة علمه وكثرة درسه .

(١) والكتاب يقع في ٧٢ صفحة وهو في اللغة الأردية وفي آخره نحو أربع صفحات بالعربية ، وهو بمذكرات معلم أشبه منه بكتاب مستقل ، طبع في مطبعة « الأمان » في نگينه ، بجنور (ع) .

(٢) ذكر صاحب المقال كتاب العلامة محمد زكريا الكاندهلوي في انتهاء مقاله بشئ من البسط والتفصيل .

(٣) ظن بعض الناس بجملة « أن فقه البخاري في تراجمه » أن الإمام خص التراجم في كتابه للمسائل الفقهية ولكن الحقيقة أن الفقه هنا ليس له معنى اصطلاحي خاص بل هو يدل على الدقة في العلوم والتضلع والبصيرة فيها كما هو معناه في دعاء النبي ﷺ لعبد الله بن عباس - رضي الله عنه - « اللهم فقهه في الدين » فهذه الأبواب والتراجم - التي كتبها الإمام في روضة النبي ﷺ بين قبره ومنبره على صاحبهما الصلاة والسلام - لها مقاصد متنوعة >>>

الإمام وبعد مراميه وفرط ذكائه وحدة ذهنه وتعمقه في فهم الحديث وحرصه على الاستفادة والإفادة منه أكبر استفادة ممكنة فهو كنحلة حريصة تواقة تجتهد أن تتشرب من الزهرة آخر قطرة من الرحيق ثم تحولها إلى عسل مصفى فيه شفاء للناس .

وشأن الإمام البخاري مع الحديث النبوي الصحيح شأن العاشق الصادق والمحب الوامق مع الحبيب الذي أسبغ الله عليه نعمة الجمال والكمال وكساه ثوباً من الروعة والجلال فهو لا يكاد يملأ عينيه منه وهو كلما نظر إليه اكتشف جديداً من آيات جماله ، فازداد افتتاناً وهياماً ورأي جماله يتجدد في كل حين وإذا الوجه غير الوجه والجمال غير الجمال فلا قديم في الحب ولا إعادة عند المحب وصدق الشاعر :

يزيدك وجهه حسنـــا إذا ما زدته نظراً

ولذلك ترى الإمام البخاري لا يكاد يشبع من استخراج المسائل واستنباط الفوائد والنزول إلى أعماق الحديث والتقاط الدرر منه والخروج على قرائه بها حتى يذكر حديثاً واحداً أكثر من عشرين مرة .

وروى حديث بريرة عن عائشة أكثر من أربع وعشرين مرة واستخرج أحكاماً وفوائد جديدة .

وروى حديث جابر قال : كنت مع النبي ﷺ في غزوة فأبطأبي جملي وأعيا ، الحديث أكثر من عشرين مرة .

>>> تدل على تضلع الإمام ودقته في العلوم فربما يستخرج منها المسائل الفقهية وربما يشير بها إلى المسائل الكلامية وربما يبين طريق الجمع بين الأحاديث وربما يريد التوجيه إلى أمر لم يصل إليها الآخرون وهكذا ، وبهذا التنوع وقع الاختلاف بين أفهام العلماء ومقاصد المؤلف الإمام في تراجمه .

و روى حديث عائشة أن النبي ﷺ ، اشترى طعاماً من يهودي إلى أجل ورهنه درعاً من حديد في أحد عشر موضعاً ،وعقد له أبواباً وتراجم لها (١) .

وروى قصة موسى والخضر في أكثر من عشرة مواضع .

وأخرج حديث كعب بن مالك في تخلفه من غزوة تبوك في أكثر من عشرة مواضع وفوائده أكثر من خمسين .

و روى حديث أسماء في كسوف الشمس و خطبته ﷺ في عشرة مواضع .

وروى حديث « إن من الشجرة لشجرة لا يسقط ورقها (الحديث) واستخرج منه فوائد جديدة (٢) .

فكأنه تأخذه النشوة والطرب عند رواية الحديث فلا يمل من إعادته وينشد بلسان الحال :

أعد ذكر نعمان لنا إن ذكره   هو المسك ما كررته يتضوع

وكأنه يتمثل ببيت الشاعر :

وحدثتنا يا سعد عنهم فزدتنا
شجوناً فزدنا من حديثك يا سعد

ثم يشتعل ذكاؤه - الذي ضرب فيه بسهم وافر - ويتوقد ذهنه وتسيل قريحته ، فيفلت زمام التأليف و يرسل النفس على سجيتها ويستخرج من حديث واحد نتائج وفوائد لا تدور بخلد كثير من

---

(١) « عمدة القاري » للعلامة العيني : ج/٥ ، ص/٤١٥ . (ع)

(٢) أنظر : هذه الإحصائيات في كتاب « دليل القاري إلى مواضع الحديث في صحيح البخاري » وضعه الشيخ عبد الله بن محمد الغنيمان ، وطبع بالمدينة المنورة - على صاحبها الصلاة والسلام - .

الأذكياء ، وما ذلك إلا لحدة ذهنه وإفراط حبه ، ولم يزل المحب ملهما للبدائع ملهبا للقرائح ، والمحب يقع على ما لا يقع عليه المتأمل المرهق لجسمه المتعب لعقله .

وسر آخر للغموض في تراجم الأبواب أن المؤلف الإمام غير خاضع للأساليب التأليفية والقوانين الوضعية ، التي جرى عليها المؤلفون في فن الحديث في عصره وبعد عصره ، بل هو واضع طريقة خاصة في التأليف وإمام مذهب خاص ، وهو لم يقتصر على ما يتبادر إليه الذهن من الأحكام الفقهية المستخرجة من الأحاديث شأن أقرانه ومن سبقه من المؤلفين في علم الحديث والفقه ، بل يستخرج من الأحاديث فوائد علمية وعملية لا تدخل تحت باب من أبواب الفقه المعروفة .

وقد أحسن الإشارة إلى ذلك أكبر شراح كتابه وأعرفهم بمراده العلامة الحافظ ابن حجر العسقلاني (١) في مقدمة كتابه الفريد (فتح الباري) قال : ثم رأي أن لا يخليه من الفوائد الفقهية والنكت الحكمية فاستخرج بفهمه من المتون معاني كثيرة فرقها في أبواب الكتاب بحسب تناسبها واعتني فيه بآيات الأحكام فانتزع منها الدلالات البديعة وسلك في الإشارة إلى تفسيرها السبل الوسيعة ، قال الشيخ محي الدين نفع الله به ليس مقصود البخاري الاقتصار على الأحاديث فقط بل مراده الاستنباط منها والاستدلال لأبواب أرادها ، ولهذا المعنى أخلى كثيراً من الأبواب عن إسناد الحديث واقتصر فيه على قوله فيه فلان عن النبي ﷺ أو نحو ذلك ، وقد يذكر المتن بغير إسناد

---

(١) قد سلف ذكره .

وقد يورده معلّقاً وإنما يفعل هذا لأنه أراد الاحتجاج للمسألة التي ترجم لها وأشار إلى الحديث لكونه معلوماً وقد يكون مما تقدم وربما تقدم تقريباً ، ويقع في كثير من أبوابه الأحاديث الكثيرة وفي بعضها ما فيه حديث واحد وفي بعضها ما فيه آية من كتاب الله وبعضها لا شئ فيه البتة ، وقد ادعى بعضهم أنه صنع ذلك عمداً وغرضه أن يبين أنه لم يثبت عنده حديث بشرطه في المعنى الذي ترجم عليه ، ومن ثمة وقع في بعض من نسخ الكتاب ضم باب لم يذكر فيه حديث إلى حديث لم يذكر فيه باب فأشكل فهمه على الناظر فيه (١) .

وقد زاد على ذلك حكيم الإسلام الشيخ ولي الله الدهلوي (٢) فأحسن وأجاد وأوضح التفاوت الواقع بين أفهام العلماء ومقاصد المؤلف الإمام ، وكأنه يقول بلسان الشاعر :

نزلوا بمكة في قبائل هاشم

و نزلت بالبيداء أبعد منزل

قال رحمه الله : « وكثيراً ما يستخرج الآداب المفهومة بالعقل ، بالكتاب والسنة والعادات الكائنة في زمانه ﷺ ، ومثل هذا لا يدرك حسنة إلا من مارس كتب الآداب ، وأجال عقله في ميدان آداب قومه ، ثم طلب لها أصلاً من السنة (٢) » .

ومن أكثر قراءة الجامع الصحيح درساً وتدريساً وأمعن النظر فيه

(١) مقدمة فتح الباري : ص/ ٦ (ع) .

(٢) قد سلف ذكره .

(٢) « شرح تراجم أبــواب صحيح البخــاري » ، ص/ ٥ . طبع حيدر آباد ١٣٢٣هـ (ع) .

شهد بصدق شيخ الإسلام فيما قاله : وأصابته الصميم ، ووجد شيئاً كثيراً مما يتأدب به ويتخلق بأخلاق الرسول ﷺ وعادات الصحابة منثوراً في ثنايا هذا الكتاب العظيم ، حتى يستطيع أن يستخرج منه كتاباً آخر ، ويسميه « الأدب المفرد » (١) أو بما شاء ، وقد يستهين المختص بالفقه والحديث بقيمة هذه الثروة العظيمة وقد يلتوى عليه فهمها ، وحكمة وضعها في هذا الكتاب الذي أفرد لجمع الأحاديث الصحيحة على شروط الإمام البخاري ، ولكن نظر المحب يختلف عن نظر غيره ، وقد أراد الإمام البخاري أن يكون هذا الكتاب نبراساً للساري ، وصورة لما كان عليه الصحابة والمسلمون في عصر النبوة .

والسبب الثاني لتعقد بعض ما أورده في هذا الكتاب من الأبواب والتراجم والتوائها على فهم كثير من الشراح والمدرسين ، حتى قال الكرماني (٢) : « إن هذا قسم عجز عنه الفحول البوازل من الأعصار ،

---

(١) هذه إشارة إلى كتاب المؤلف الإمام الآخر « الأدب المفرد » وقد تأخر طبعه وما اعتني به كما كان حقه ، وعليه شرح واحد للشيخ الفاضل فضل الله بن أحمد علي بن العارف الكبير العلامة الشيخ محمد علي المونجيري مؤسس ندوة العلماء ، سماه : « فضل الله الصمد في شرح الأدب المفرد » .

(٢) هو العلامة المحدث الكبير محمد بن يوسف بن علي بن سعيد ، شمس الدين الكرماني (٧١٧-٧٨٦هـ) أصله من « كرمان » ، أخذ عن أبيه بهاء الدين وجماعة ببلدته ثم ارتحل إلى « شيراز » فأخذ عن القاضي عضد الدين ولازمه اثنتي عشرة سنة ، قال ابن حجي : تصدى لنشر العلم ببغداد ثلاثين سنة ، وأقام مدة بمكة وفيها فرغ من تأليف كتابه « الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري » خمسة وعشرون جزءاً صغيراً ، وله غير ذلك من التصانيف ، سمع منه جماعة منهم القاضي محب الدين البغدادي وغيره >>>

والعلماء الأفاضل من الأمصار فتركوها بأعذار » هو عدم اطلاع أكثرهم على ما كان يسود في عصره من آراء وأقوال يشتد حولها الخصام ، ويكثر فيه القيل والقال ، وما ذهب إليه بعض معاصريه ومن تقدمه بقليل من مذاهب ، فإنه يعقد باباً ويأتي بترجمة وما قصده من ذلك إلا نقض ما انتشر في الناس ، وجرى عليه العامة أو نقل عن عالم وهو عنده مخالف للحديث وما ثبت من السنة ، فهو يؤدي بذلك أو ينظر إليه من طرف خفي ، ولا يستملح ذلك ولا يفهم سر إيراده له إلا من اتسع علمه وأحاط بأكثر ما كان يوجد في عصره من الأخلاق والعادات والأقوال والآراء ، وكذلك اطلع على كتب معاصريه أو من سبقه بقليل كمصنف عبد الرزاق (١) ومصنف ابن أبي شيبة (٢) وغيرهما وقد أشار إلــى هذه النكتة الشيخ ولي الله الدهلوي في بعض مباحثه في كتابه المتقدم ذكره ، إذ قال : « وأكثر ذلك تعقبات وتبكيتات على

>>> مات راجعاً من الحج في طريقه إلى « بغداد » ودفن فيه ، (الدرر الكامنة : ج/٤ ، ص/٢١٠) (الأعلام : ج/٨ ، ص/٢٧) .

(١) هو العلامة المحدث الحافظ عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري أبو بكر الصنعاني (١٢٦-٢١١هـ) من حفاظ الحديث الثقات ، كان يحفظ نحواً من سبعة عشر ألف حديث ، روى عن معمر وابن جريج والأوزاعي والثوري وروى عنه أحمد بن حنبل وإسحاق وغيرهما ، قال الذهبي - رحمه الله - : « كان - رحمه الله - من أوعية العلم ، له كتب أشهرها مصنفه في الحديث جمع فيه الأحاديث المرفوعة وآثار الصحابة والتابعين ، (تهذيب التهذيب : ج/٦ ، ص/٢١٠) (وفيات : ج/١ ، ص/٣٠٢) (ميزان : ج/٢ ، ص/١٢٦) (شذرات : ج/٢ ، ص/٢٧) (تذكرة الحفاظ : ج/١ ، ص/٣٦٤) (الأعلام : ج/٢ ، ص/٣٥٣) .

(٢) سلف ذكره .

عبد الرزاق وابن أبي شيبة في تراجم مصنفيهما ؛ إذ شواهد الآثار تروى عن الصحابة والتابعين في مصنفيهما ، ومثل هذا لا ينتفع به إلا من مارس الكتابين واطلع على ما فيهما » (١) .

وسبب آخر لهذا الغموض والتعقد ، وعجز العلماء والشراح عن حله ومعاناتهم في ذلك الشدة والمشقة حتى التجأ كثير منهم إلى تأويلات وتكلفات لا يسيغها الذوق السليم ، حتى قال الباجي (٢) :

« وإنما أوردت هذا ههنا لما عني به أهل بلدنا من طلب معنى يجمع بين الترجمة والحديث الذي يليها وتكلفهم في ذلك من تعسف التأويل ما لا يسوغ » هو أن الكتاب لم يزل في دور التنقيح والتهذيب والحذف والزيادة ، شأن الكتب التي يعني بها أصحابها أشد عناية ، ويصبون فيها علمهم ويعتبرونها عمدة بضاعتهم ورأس مالهم وزادهم في الآخرة ، وشأن العلماء الذين لا يزال عقلهم في نبوغ وعلمهم في نمو ، فلا يزال عقلهم مشغولاً بهذا الكتاب ولا يزال قلمهم يتناوله بالتحسين والتحبير ، وحياة الإمام البخاري لم يكن فيها هدوء واستقرار بل كان

---

(١) رسالة شرح التراجم للإمام ولي الله الدهلوي : ص/٥ (ع) .

(٢) هو الحافظ العلامة سليمان بن خلف بن سعد التجيبي القرطبي أبو الوليد الباجي (٤٠٣-٤٧٤هـ) فقيه مالكي كبير من رجال الحديث أصله من بطليوس ومولده في « باجة » بالأندلس ، رحل إلى الحجاز فمكث ثلاثة أعوام وسافر إلى « بغداد » والموصل ودمشق وحلب ، ثم ولي القضاء في بعض أنحاء « الأندلس » روى عنه الخطيب وابن عبد البر وخلق سواهما ، له كتب أشهرها : « المنتقى في شرح الموطأ » و « شرح المدونة » ، توفي بالمرية (تذكرة الحفاظ : ج/٢ ، ص/١١٧٨) (وفيات : ج/١، ص/٢١٥) (شذرات : ج/٢ ، ص/٣٤٤) (الأعلام : ج/٢ ، ص/١٢٥) .

ينتقل من بلد إلى بلد ومن محنة إلى محنة ومن جفاء إلى جفاء حتى لقي ربه .

ويدل على ذلك ما نقله الإمام أبو الوليد الباجي المالكي في مقدمة كتابه في أسماء رجال البخاري ، فقال : أخبرني الحافظ أبوذر عبد الرحيم بن أحمد الهروي (١) ، قال حدثنا الحافظ أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد المستملي (٢) قال انتسخت كتاب البخاري من أصله الذي كان عند صاحبه محمد بن يوسف الفربري (٣) فرأيت فيه أشياء لم تتم وأشياء مبيضة ، منها تراجم لم يثبت بعدها شيئاً ، وفيها أحاديث لم يترجم لها فأضفنا بعض ذلك ، قال الباجي : ومما يدل على صحة هذا القول ، أن رواية أبي إسحاق المستملي ورواية أبي محمد السرخسي

---

(١) هو الإمام العلامة الحافظ أبو ذر عبد الرحيم بن أحمد الأنصاري المالكي ، ابن السماك شيخ الحرم الهروي (٣٥٥-٤٣٤هـ) سمع أبا إسحاق المستملي والدار قطني وأبا الهيثم الكشميهني ، وروى عنه أبو الوليد الباجي والخطيب البغدادي وغيرهما ، كان ثقة ضابطاً زاهداً ورعاً ، جاور ثم تزوج في الحجاز وسكن السروات ، فكان يحج كل عام ، له مصنفات ..(تذكرة الحفاظ : ج/٣ ، ص/١١٠٣) .

(٢) هو الحافظ أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم البلخي المعروف بالمستملي ، محدث ثقة له « معجم الشيوخ » ، توفي سنة ٣٧٦هـ ، (شذرات : ج/٣ ، ص/٨٦) (الأعلام : ج/١ ، ص/٢٢) .

(٣) هو الحافظ محمد بن يوسف بن مطر أبو عبد الله الفربري (٢٣١-٣٢٠هـ) أوثق من روى صحيح البخاري عن مصنفه وأشهرهم ، سمعه منه مرتين : الأولى : سنة ٢٤٨هـ ، والثانية : سنة ٢٥٢هـ ، ورواه عنه كثيرون نسبته إلى « فربر» من بلاد « بخارى » ، توفي في شوال (شذرات : ج/٢، ص/٢٨٦) (الأعلام : ج/٧ ، ص/١٤٨) .

ورواية أبي الهيثم الكشميهني ورواية أبي زيد المروزي مختلفة بالتقديم والتأخير مع أنهم انتسخوا من أصل واحد وإنما ذلك بحسب ما قدر كل واحد منهم فيما كان في طرة أو رقعة مضافة أنه من موضع ما . فأضافه إليه . ويبين ذلك أنك تجد ترجمتين وأكثر من ذلك متصلة ليس بينها أحاديث (١) .

وأيده العلامة الحافظ ابن حجر صاحب فتح الباري . فقال : « وهذه قاعدة حسنة يفزع إليها حيث يتعسر وجه الجمع بين الترجمة والحديث وهي مواضع قليلة جداً (٢) » .

وعلى كل فهذه بعض أسباب لتعقد الأبواب والتراجم في هذا الكتاب الذي اعتنت به الأمة أشد اعتناء بعد كتاب الله . وصلت إليها دراسة قاصرة لمن لم يكن صاحب اختصاص في فن الحديث . وقد يكون أكثر من ذلك . ولا آخر في عالم العلم والتأمل والبحث . وفوق كل ذي علم عليم .

ولم يزل الموضوع غضاً طرياً يطرقه كل باحث في علم الحديث . وكل دارس ومدرس للجامع الصحيح . وكان الموضوع في حاجة - بعد ضياع كتب المتقدمين الأربعة التي تقدم ذكرها - إلى كتاب أكمل وأشمل وأجمع وأوعى . فجاء هذا الكتاب (٢) - والحمد لله - وافياً بالغرض .- مسعفاً بالحاجة لصدق قول الأولين (كم ترك الأول للآخر)

(١-٢) مقدمة فتح الباري : ص/٦ .

(٢) ألفه العلامة المحدث الجليل الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي -رحمه الله-. وسماه : « الأبواب التراجم للبخاري » .

وكان المؤلف (١) - رحمه الله - قد ذكر في كتابه : « مقدمة كتاب لامع الدراري » بكل ما جاء من أصول الشيخ الإمام ولي الله الدهلوي ، والقــواعد الكلية للتطبيق بين الأبواب و التراجم . و أبواب لا ترجمة لها . وكذلك كل ما جاء في رسالة الشيخ العلامة محمود حسن الديوبندي (٢) وكل ما وجد من فوائد في دروس الشيخ الكبير مولانا رشيد أحمد الگنگوهي (٣) وكذلك كل ما وجده من أصول وقواعد في كلام الحافظ ابن حجر (٤) والقسطلاني (٥) .

والحافظ العيني (٦) . فاستوعبها وزاد عليها مما كان خاطره أبا عذره . ولم يسبق إليه حتى بلغ عدد هذه الأصول الكلية إلى سبعين أصلاً وقاعدة فاحتوى على علم غزير لم نجده في كتاب واحد - والغيب عند الله - فاقترحت على المؤلف كما اقترح كثير من تلاميذه تجريد

---

(١) مازال مشتغلاً بالإفادة والعبادة حتى وافاه الأجل في ١/شعبان ١٤٠٢هـ بالمدينة المنورة . ودفن بالبقيع .

(٢) مضت ترجمته . (٣) سلف ذكره .

(٤) مضت ترجمته :

(٥) هو الإمام العلامة الحجة المحدث الفقيه الحافظ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد القسطلاني المصري الشافعي (٨٥١-٩٢٢هـ) أخذ عن خالد الأزهري والجلال البكري وغيرهما . قرأ صحيح البخاري في خمسة مجالس على الشاوي حج غير مرة . وله مصنفات أشهرها شرحه على صحيح البخاري سماه : « إرشاد الساري » يقول الحضرمي في « النور السافر » : وبالجملة فإنه كان حافظاً متقناً . جليل القدر . حسن التقرير والتحرير . لطيف الإشارة بليغ العبارة . حسن الجمع والتأليف . لطيف الترتيب والتوصيف . توفي بالقاهرة . (شذرات الذهب : ج/٨ . ص/١٢١) .

(٦) مضت ترجمته .

هذا الجزء وطبعه ككتاب مستقل فقبل هذا الاقتراح مشكوراً محسناً إلى المشتغلين بتدريس هذا الكتاب العظيم بصفة خاصة والخادمين لعلم الحديث بصفة عامة مستحقاً ثناءهم وتقديرهم ودعواتهم الصالحة ، وما عند الله أوفى وأبقى وأعظم وأجل . وكان قد تناول كل كتاب من كتب الجامع الصحيح وتكلم على أبوابها وتراجمها باباً باباً وترجمة ترجمة ، فجاء الكتاب سفراً ضخماً قد يقع في عدة أجزاء ، وأصبح الكتاب موسوعة أو دائرة معارف بالتعبير الحديث في كل ما يتصل بالأبواب والتراجم في الجامع الصحيح للبخاري مغنياً عن غيره ، وبذلك أغنى طلبة علم الحديث ومدرسيه عن تتبع هذا الموضوع في كل كتاب والتقاط الدرر من كل بحر و وفر عليهم وقتاً طويلاً وعناءاً كبيراً ، ولا يعرف قيمة هذا الكتاب وما فتح الله به على مؤلفه الرأي السديد والقول الصواب وما أتى به فيه من لباب النقول وصفوة الأقوال ومحصول العقول والألباب . إلا من مارس هذه الصناعة واشتغل بتدريس الكتاب مدة طويلة ولقى الجهد والعناء في حل غوامضه وفك مشكلاته وقد قال القائل :

إنما يعرف ذا الفضل من الناس ذووه

وندعو الله أن ينفع بهذا الكتاب طلبة العلم وأساتذة الحديث كسائر مؤلفاته ويعز به العلم والدين . والحمد لله أولاً وآخراً . والصلاة والسلام على نبيه المصطفى محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

.. ..